20051207-0005-1

الاربعاء ٧ كانون الأول ٢٠٠٥ ـ الموافق ٥ ذي القعدة ١٤٢٦ هـ ـ العدد ١٠٢٦٥
AS-SAFIR Arabic political daily - December 7, 2005 N° 10265

محطة أخيرة

هل يمكن تأسيس ذاكرة وطنية مشتركة على المقابر الجماعية، وهل يمكن إرساء مصالحة أهلية، وإقليمية، على نبش القبور؟

المقبرة الجماعية التي اكتشفت في عنجر قبل ايام أعادت اللبنانيين جميعا الى حقبة مرعبة من تاريخهم ما زالت ترخي بظلالها الثقيلة على وعيهم وسلوكهم ونمط حياتهم اليومي، وترفض الدخول في دائرة النسيان، برغم الادعاءات الكثيرة بأن الحرب الاهلية أصبحت من الماضي البعيد.

لم تثر مقبرة عنجر هول أحد من اللبنانيين، ولم تحدث أي مفاجأة. كان البعض يعرف بوجودها سلفا، وكان البعض الاخر يتوقع مسبقا العثور عليها على بعد امتار من المقر السابق لقيادة الاستخبارات العسكرية السورية.. وكان الجميع واثقين انها نقطة صغيرة على خريطة المقابر الجماعية التي تمتد على مساحة الوطن ولا تستثني ايا من مناطقه.

لكن الغريب هو ان احدا من اللبنانيين لم يتوقف مطولا عند البعد الانساني والاخلاقي لاكتشاف مقبرة جماعية تضم رفات اكثر من ثلاثين شخصا بينهم اطفال رضع.. لم يكن كثيرون معنيين بمعرفة هوياتهم وبتوفير دفن لائق لهم والصلاة لراحتهم، ولراحة ذويهم الذين ينتمون الى الآلاف من العائلات اللبنانية التي لا تزال تجهل مصير افرادها الذين فقدوا في خلال السنوات الثلاثين الماضية.

لم تكن اجهزة الاستخبارات السورية التي عملت في لبنان تضم في صفوفها ملائكة وقديسين. لكن القفز الى الاستثمار السياسي للمقبرة كان مخيفا فعلا، سواء من جانب الذين هبوا لطلب الثأر او الذين سارعوا الى طلب النسيان. كان الجانبان يتمتعان بممارسة هواية لبنانية قديمة، هواية الرقص على القبور وتناتش جثث الموتى بإيقاعات بربرية بشعة.

كانت العظام البشرية التي عثر عليها في عنجر تستحق بعض الاحترام، قبل الانتقام الذي لا يمكن أن ينجو منه أحد، ليس فقط لان المقابر الجماعية تغطي الارض اللبنانية كلها، بل لان احدا من اللبنانيين لا يبدو جاهزا فعلا للصفح والمغفرة، وما زال كل فريق يحتفظ لنفسه بأحقاده الخاصة التي يرفض الكشف عنها الا عند الطلب، كما يعارض الجلوس على كرسي الاعتراف بأنه كان جزءا من آلة القتل الجماعي وثقافتها الا عند الضرورة.

جرت محاولات عديدة لطي تلك الذكريات الأليمة، لكن احدا لا يمكنه ان يدعي انها نجحت في فتح صفحة جديدة، بدليل ان ذاكرة البلد لم تتوحد، وتاريخه لم وربما لن يكتب ابدا، ومستقبله ما زال يتطلب الكثير من المعجزات والعلاجات النفسية لابنائه الذين لكل منهم كوابيسه الخاصة.

من الغباء الافتراض ان العثور على مقبرة عنجر يمكن ان يساهم في السعي الى مصالحة لبنانية او لبنانية سورية، لان الفكرة لا تخطر في بال احد اليوم لا في بيروت ولا في دمشق، حيث يشتد الصراع على القبور والجثث، ويؤدي الجميع رقصة الموت التي ليس لها نهاية.

ساطع نور الدين